٥ ـ الانتحار

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المسيَّبُ بنُ رافع: وأطرق الناسُ قليلاً بعد خبر (أبي محمد البَصْري)؛ إذ كان كلٌّ منهم قد جمعَ بالَه لِما سمع، وأخذ يَحْدِسُ في نفسه ويراجعُها الرأي؛ وكان المجلسُ قد امتدَّ بنا منذ العصر وما يكاد النهارُ يُشمِّرُ بأذياله، حتى اعترضَتْ في شمسه الغُبرةُ التي تعتريها إذا دنتْ أن تغرُب. وكان الى يساري فتًى ريَّانُ الشباب، حسَنُ الصورة، وضيءٌ مُشرِقٌ له هيئةٌ وسمْت، أقبلَ على الأيام وأقبلت الايامُ عليه

فسمعني أطِنُّ على أذن (مجاهدٍ الأزْدي)؛ وكنت أعرفُه شاعراً في كلامه وشاعراً في قلبه؛ فقلت له: إنه لم يبقَ من النهار يا مجاهد إلا مثلُ صبرِ الحبِّ دنا له الموعد؛ ولم يبقَ من الشمس إلا مثلُ ما تتلفف صاحبتُه، تأخذُ عليها ثوبها وغلائلَها ولكن بعد أن تُسقِطها من هنا ومن هنا، لترى جمالَ جسمها هنا وهنا!

فاهتزَّ الفتى لهذه الكلمات وسالت الرقّةُ في أعطافه وقال: يا عمّ، أما ترى ما بقي من النهار كأنه وجهُ باكٍ مسحَ دموعه وليس حوله إلا كآبةُ الزمن؟

قلت: كأنّ لك خبراً يا فتى، فان كان شأنُك مما نحن فيه فَقُصَّه علينا وعَلِّلْنا به سائرَ الوقت الى أن تجبَ الشمس، ولعلك طائرٌ بنا طَيرةً فوق الدنيا

قال: فَمَهْ؟

قلت: تقومُ فتتكلّم، فاني أرى لك لساناً وبياناً

قال: أوَ يحسُنُ أن أتكلم في المسجد عن صَرْعَى الحب وصريعِه، وعاشقةٍ وعاشق؟

فبادر مجاهدٌ فقال: ويحك يا فتى! لقد تحجّرتَ واسعاً؛ إن المؤمن ليصلِّي بين يدي الله وكتابُ سيئاته في عنقه منشورٌ مقروء. وهل أوقاتُ الصلاة إلا ساعاتٌ قلبيّة لكل يوم من الزمن، تأتي الساعةُ مما قبلها كما تأتي توبةُ القلب مما عملَ الجسم؟ إنما يتلقَّى المسجدُ من يدخلُه لساعته التي يدخله فيها، ولو أنه حاسَبه عن أمسِ وأوّلَ منه وما خلا من قبل، لطرَدهُ من العتَبة! إن المسجد يا بنيّ إنما يقول لداخلِه: أدخلْ في زمني ودَعْ زمنك، وتعالَ الى أيها الانسانُ الأرضي، لتتحقّق أن فيك حاسّةً من السماء، وجئني بقلبك وفكرك، ليشعُرا ساعةً أنهما فيَّ لا فيك. ولسنا الآن يا بنيَّ في مُتحدَّثٍ كندِيِّ القوم يتطارحون فيه أخبارَهم، بل نحن في مجلس علم، تكلمتْ فيه رِقبةُ هذا ورِقبةُ هذا بما سمعت؛ فقُم أنتَ فاذكُرْ عِلمَ قلبك وقُصّ علينا خبرَ طيشِ الحبِّ والشباب الذي يُشبه الكلامُ فيه أن يكون كلاماً عن الصعود الى القمر والقبضِ من هناك على البرق!

***

قال المسيّب: فانتهضَ الفتى، ورأيت مجاهداً يتنهّد كأنما انصدعت كَبِدُه؛ فقلت: ما بالُك؟ قال: إن شبابي قد مرّ على الساعةَ فنسمْتُ منه في بُردةِ هذا الفتى، ثم فقدْتُه فقداً ثانياً فهرِمْتُ هَرَماً ثانياً، وجاءني الحزنُ من إحساسي بأني شيخٌ حزْنَ مَن همّ أن يدخل بابَ حبيبٍ ثم رُدَّ . . . !

وتحدّث الفتى، فاذا هو يُدير بين فكّيه لسان شاعرٍ عظيم، يتكلم كلامَه بنفسَين: إحداهما بَشريةٌ تصنع المعنى واللفظ، والأخرى عُلويةٌ تُلقي فيها النارَ والنور

قال: إن لي قصةً أيها الشيخ، لم يبقَ منها إلا الكلامُ الذي دُفِنتْ فيه معانيها؛ وقد تأتي القصةُ من أخبار القلب مُفعمةً بالآلام والأحزان، لا يُراد بآلامها وأحزانها إلا إيجادُ أخلاقٍ للقلب يعيش بها ويتبدّل. والذي قُدِّر عليه الحبُّ لا يكون قد أحبَّ غيرَه أكثرَ مما يكون قد تعلّم كيف ينسى نفسَه في غيره، وهذه كما هي أعلى درجاتِ الحبّ — فهي أعلى مراتب الاحسان

ومتى صدق المرءُ في حبّه كانت فكرتُه فكرتين: إحداهما فكرةٌ والأخرى عقيدةٌ تجعل هذه الفكرةَ ثابتةً لا تتغيّر؛ وهذه كما هي طبيعةُ الحب فهي طبيعة الدِّين

ولا شيءَ في الدنيا غيرُ الحب يستطيع أن ينقُل الى الدنيا ناراً صغيرة وجنة صغيرة، بقدْر ما يكفي عذابَ نفسٍ واحدةٍ

أو نعيمَها ؛ وهذه حالة فوق البشرية

والفضائلُ عامَّتُها تعمل فى نقل الانسان من حيوانيته ، وقد لا تنقل إلا أقلّه ويبقى فى الحيوانيّة أكثرُه ؛ ولكن الحبّ الصادقَ يقتلع الانسانَ من حيوانيتـه بمرّةٍ واحدة ، بَيْدَ أنه لا يكون كذلك إلا إذا قتلَه بآلامه ؛ فهو كأعلى النُّسك والعبادة

كان من خَبَرى أنى دُعيتُ يوماً إلى ما يُدعى لمثله الشباب فى مجلس غناءٍ وشرابٍ يا لَهُ من مجلس ! وقد قال تعـالى : «إن اللهَ لا يَستَحيي أن يَضربَ مَثلاً ما بَعُوضةً فما فوقَها» والبعوضةُ فى قصتى أنا كانت امرأة نصرانيّة . . . قَيْنَـة فلان المغنّية الحاذقة المحْسِـنة المتأدّبة ، تحفَظ الخبرَ وتروى الشعر ، وتتكلم بألفاظٍ فيها حلاوةُ وجهها ، وتخلُقُ النُّكتةَ إذا شاءت خَلقَ الزهرة المتفتّحةِ عليها سَقيطُ الندى ؛ وتجِدُّ بالحديث ما شاءتْ وتَهْزِل ، فتجمل للكلام عقلاً وشهوة تُضاعفُ بهما مَن تحدّثه فى شهواته وعقلِه !

وستجرى فى قصتها ألفاظُ القصةِ نفسِها ، لا أتأثّمُ من ذلك ولا أتندّم ؛ فقد ذكر اللهُ الخمرَ بلفظ الخمر ولم يَقُل : « الماء الذى فيه السُّكْر » ، ووَصفَ الشيطانَ ولم يقل : « الملَك الذى عمِل عملَ المرأةِ الحسناء فى تكبرها » ، وذكر الأصنامَ بأنها الأصنام ولم يُسمِّها : « حاملة السماء التى يصنعها الانسان بيديه » ، وحكاية ما بين الرجل والمرأة هى كلامٌ يقبِّل بعضُه بعضاً ويلتزمُ ويتعانق !

قال المسيب : فتبسم إمامُنا ونظرتْ عيناه تسألان سؤالا . أما مجاهدٌ الأزدىّ فكان من هِزّةِ الطَّرَب كأنه على قَتَب بعير ، وقال : لله دَرُّه فتًى ، إن هذا لبيانٌ كحْلُ العين . . .

ثم قال الفتى : وذهبت الى المجلس وقد جملتْه هذه المغنيةُ من حواشيه وأطرافه كأنه تفسيرٌ لها هى . أما هى فجاءتْ نفسُها تفسيراً لكلمةٍ واحدة هى : « اللذّة . . . »

قال المسيّب : وطرِب مجاهدٌ طرباً شديداً ، وسمعتُه يخافتُ بصوته يقول : « لله درُّها امرأة ، هذه ، هذه عَدُوّةُ الحور العين ! »

ثم قال الفتى : وتطرّبَ جماعةُ أهلِ المجلس الى الشرب ، وما ذقتُ خمراً قطّ ، ولن أذوقَها ولو شربها الناسُ جميعاً ، ولن أذوقَها ولو انقطع الغيثُ ولم تمطر السماء إلا خمراً ؛ فانى مذ كنت يافعاً رأيتُ أبى يشربها ، وكانت أمى تلومه فيها وتشتد فى تعنيفه وتحتدِم ، وكانا يتشاحنان فينالُها بالأذى ويَتدَرِىءُ عليها بالسبّ وفُحْشِ القول . وسَكِر مرة وغلبه السكر حتى ثارت أحشاؤه فذَرَعَه القىءُ فتوهّمنى وعاء ، وجاء الىّ وأنا جالسٌ فأمسك بى وقاءَ فى حِجرى ، حتى أفرغ جوفَه ؛ وثارت أمىّ لتنتزعه وأنشأتْ تعالجه منى فتصارعَ جنونه وعقلها حتى كَفَأَته على وجهـه كالاناء ؛ فالتوى كالحيّة بطناً لظهر واستجمع كالقنفذ فى شوكه ، ثم لكزَها برجله أسفل بطنها فانقلبت ، وأصاب رأسها إجّانة (١) العجين فتلم تليمَ الاناء كأنما شُدِخَ ضرباً بحجر ، وانتثر دماغها على الأرض أمامَ عينىّ ، ورأيتها لم تزِد على أن دَفعتْ بإحدى يديها فى الهواء وضمت بالأخرى الى صَدرِها ، تتوهم أنها تحميني وتدفعه ، ثم سَكَنتْ ولو لم تمُت من الشّجّةِ فى رأسها لماتتْ من الضربة فى بطنها !

* * *

قال المسيّب : وأطرق الفتى هُنيهةً وأطرق الناسُ معه ؛ فرفع مجاهد صوتَه وقال : رحمها الله ! فقال الناس جميعاً : رحمها الله !

ثم قال الفتى : وكان عامّةُ مَن فى المجلس يعرفون ذلك منى ، ويعرفون أنه لو ساغ لانسانٍ أن يشربَ دمَ أمّه ما شربتُ أنا الخمر . فقالوا للمغنّية : إن هذا لا يدخلُ فى دواويننا (٢) . فنظرَتْ إلىّ ، وهرَبتُ أنا من نظرتها باطراقة ؛ ثم قالت : تَشربُ على وجهى ؟ فقلتُ لها : إن وجهك يقول لى : لا تشرب . . . فتضاحكتْ وقالت : أهو يقول لك غيرَ ما يقول لهؤلاء ؟ فهربتُ من كلامها باطراقةٍ أخرى ، ووَصلتِ الاطراقتان ما بينى وبين قلبها ؛ وتنبه فيها مثلُ حنوّ الأمّ على طفلها إذا آذته بلسانها فأطرق ساكتاً يشكوها إلى قلبها !

والتفتتْ لمن حضر وقالتْ لهم : لستُ أطيب لكم ولا تنتفعون بى الا أن تشربوا لى ولهُ ولأنفسكم ، وانحطّ عليهم

(١) هى ما يعجن فيه العجين وتغسل فيه الثياب ، وقد يوضع فيها الماء ليتوضأ منه ، وتتخذ من حجر أو خزف أو غيرها

(٢) تعبير قديم كانوا يريدون به الشرب كأنه ديوان ملك

الساقى ، فشربوا أرطالاً وأرطالاً ، وهى بين ذلك تتنسَّم وقد أقبلتْ عليهم وخلا وجهها لهم من دُونى وإنما تخالسني النظرةَ بعد النظرة

فوسوسَ لى شيطانى أن تَشدّدْ مع هــذه بمثل عزمتِكَ مع الخمر . ولكنى كنتُ أُحِدُّ النظرَ اليها ، فمرّةً أُوامقُها نظرةَ المحبِّ للحبيب ؛ وكأنى بذلك كنت آخذُها وأدَعُها ، وأصِلُها وأهجرها . فقالت لى كالمُنكِرة علىَّ : مابالك تنظر إلىَّ هكذا ! ولكن هيئةَ وجهها جعلتْ المعنى : لا تنظر إلىَّ إلا هكذا . . . !

وأسرع الشرابُ فى القوم وأفرط عليهم السُّكْر ؛ فبقيت لى وحدى وبقيتُ لها وحدها ؛ ثم تناولت عودَها وضمته إليها ضمّاً شديداً أكثرَ من الضم . . . وألمسَته صدرَها ونهديها ، ثم رَنَت إلىَّ بعينى ، فما شككتُ أنها ضمّةٌ لى أنا والعود ؛ ثم غنّتْ هذا الصوت :

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غُــــدوةً
على الغصن ؛ ماذا هيَّجتْ حين غنتِ ؟
فما سكتت حتى أويتُ لصوتِها ،
وقلتُ : تُرى هذى الحمامةُ جُنتِ ؟

* * *

وما وجْدُ أعرابيــةٍ قذفتْ بها
صروفُ النوى من حيث لم تك ظُنتِ ...
إذا ذكرتْ ماءَ العِضاهِ وطيبَه ،
وبردَ الحمى من بطنِ خبتٍ ، أرنّتِ ...
بأكثرَ منى لوعـــةً ، غيرَ أننى
أُجَمْجِمُ أحشــائى على ما أجنتِ !

وغنّته غِناءً من قلبٍ يئنّ ، وصدرٍ يتنهّد ، وأحشاءٍ لا تخفى ما أجنتْ ؛ وكانت ترتفع بالصوت ثم كأنما يهيجى الدمعُ على صوتها ، فهو تَمِسُ ويتنزّل قليلاً قليلاً حتى يئنّ أنينَ الباكية ، ثم يتلجلج فى صدرها مع الحب ، فيتردّد عالياً ونازلاً ، ثم رفضُ الكلامُ فى آخره دموعاً تجرى

* * *

قال السيّب : فنظر إلىّ مجاهد وقال : عدوّةُ الجنة والله هذه يا أبا محمد ، لاتقبل الجنةُ من يكون معها . تقول له : كنتَ مع عدوّتى !

ثم قال الفتى : وكان القوم قد انتشوْا ، فاعتراهم نصفُ النوم وبقى نصفُ اليقظةِ فى حواسّهم ، فكلُّ ما رأوْه منا رأوه كأحلام لاوجود لها إلا خلف أجفانهم المُثقلة سكراً ونعاساً . ووثبتْ المغنيةُ فجاءت إلى جانبى والتصقتْ بى ، وأسرع الشيطانُ فوسوسَ لى : أن احذر فانك رجلُ صدق ، وإذا صدقت فى الخمر فلا تكذبنّ فى هذه ، ولئن مَسسْتَها إنها لضَياعُكَ آخرَ الدهر !

فعجبتُ أشدّ العجب أن يكون شيطانى أسلم وأُعتِبَ عليه كما أُعين الانبياءُ على شياطينهم . ولكن اللعينَ مضى يصُدُّنى عن المرأةِ دون معانيها ، وكان بى كالذى يُدنى الماءَ من عينى القتيل المتلهب جوفُه ثم يجعله دائماً فوتَ فِيه ، ولقد كنتُ من الفُحولةِ بحيث يبدو لى من شدةِ الفورةِ فى دمى وشبابى أن أجمع فى جسمى رجالاً عدةً ، ولكن ضربنى الشيطانُ بالخجل فلم أستطع أن أكون رجلاً مع هذه المرأة

وعجبتْ هى لذلك وما أسرع ما نطق الشيطانُ على لسانها بالموعظة الحسنة ...! فقالت :لقد أحببتُك ما لم أُحِبّ أحداً ، وأحببتُ خجلك أكثر منك ، فما يسرُّنى أن تأثم فىّ فتدخلَ النارَ بحبى ، ولو أنك ابتعتنى من مولاى ؟ فقلت : بكم اشترائكِ ؟ قالت : بألف دينار ! قلت : وأين هى منى وأنا لو بعت نفسى ما حصّلتْ لى ؟

فتمَّ الشيطانُ موعظتَه وقالت : إن قلبى قَبلَك غنياً كنتَ أو فقيراً ، وأحسّ بك وحدك حُبَّ العذراء أوّلَ ما تُحبّ ، وأنا ـ كما ترانى ـ أعيش فى السيئات كالمُكرهةِ عليها ، فسأعمل على أن تكون أنت حسنتى عند الله ، أذهب اليه حاملةً فى قلبى حُبى إياك وعفتى عنك ، ولئن كانت عفةُ من لا يشتهى ولا يجد تعدُّ فضيلة كاملة ، إن عفة من يجد ويشتهى لتعدُّ ديناً بحاله . ولا يزال حبى بكراً ، ولا أزال فى ذلك عذراء القلب ، وهؤلاء قد نزعوا الحياءَ عنى من أجْل أنفسهم ، فألبسْنيه أنتَ من أجلك خاصة ، وإن قوة حبى الذى سيتألم بك ويتعذّب منك لطُول مايصبر عنك ، ستكون هى بعينها قوةً لفضيلتى وطهارتى

ثم تناولتْ عودها وسوّته وغنتْ :

فلو أنا على حجر ذُبحْنا   جرى الدّميان بالخبر اليقين(١)

وجعلت تتأوّه في غنائها كأنها تُذبح ذبحاً ، ثم وضعتِ العودَ جانباً وقالت : ما أشقاني ! إذ اتفقتْ لي ساعةُ زواجي في غير وقتها فجاءت كالحلم يأتي بخيال الزمن فلا يكون فيه إلا خيال الأشياء

ثم سألتني : ما بالك لم تشرب الخمر ولم تدخل في الديوان ؟ فبدرَ شيطاني المؤمن . . . وساق في لساني خبرَ أمي وأبي ، فانتضحتْ عيناها باكية وتم لها رأيٌ فيَّ كرأيي أنا في السكر ؛ وكان شيطانها بعد ذلك شيطاناً خبيثاً مع أصحابها ، وبطريقاً زاهداً مني أنا وحدي !

ورأيتها لا تجالسني إلا مُتزايلة كالعذراء الخفِرة إذا انقبضتْ وغطت وجهها ، وصارت تخافني لأنها تُحبني ، وهيّبني الشيطان إليها فعادت لا ترى فيَّ الرجلَ الذي هو تحت عينيها الشيّبتين ... ولكن القدّيسَ الذي تحت قلبها البكر

ولم يَعُد جمالي هو الذي يعجبها ويصبيها ، بل كان يعجبها مني أني صنعةُ فضيلتها التي لم تصنع شيئاً غيري . . .

***

وانطلق الشيطانُ بعد ذلك فيَّ وفيها بدهائه وحنكته وبكلِّ ما جرّب في النساء والرجال من لدُن آدمَ وحواءَ إلى يومي ويومها . . . ! فكان يجذبني إليها أشدَّ الجذب ، ويدفعها عنيَ أقوى الدّفع ، ثم يُغريني بكل رذائلها ولا يغريها هي إلا بفضائلي . وألقيَ منها في دمي فكرةَ شهوةٍ مجنونةٍ متقلّبة ، وألقى مني في دمها فكرةَ حكمةٍ رزينةٍ مستقرّة . وكنت ألقاها كلَّ يوم وأسمع غناءها ؛ فما هو بالغناء ولكنه صوتُ كلِّ ما فيها لكلِّ ما فيَّ ، حتى لو التصق جسمُها بجسمي وسارَّ البدنُ البدنَ ، وهمسَ الدمُ للدم ، لكان هو هذا الغناء الذي تغنّيه

وأصبحت كلما استقمتُ لحبها تلوّتْ عليَّ ؛ إذ لستُ عندها إلا الأملَ في المغفرة والثواب ، وكأنما مُسختُ حبلاً طوله من هنا إلى الجنة لتتعلّق به . وعاد امتناعها مني جنوناً دينياً ما يفارقها ، فابتلاني هذا بمثل الجنون في حبها من كلَفٍ وشغف

وانحصرتْ نفسي فيها ، فرجعتُ معها أشدَّ غباوةً من الجاهل ينظر إلى مدّ بصره من الأفق فيحكم أن ههنا نهايةَ العالَم ، وما ههنا إلا آخرُ بصره وأوّلُ جهله . وانفلتَ مني زمامُ روحي ، وانكسر ميزان إرادتي ، واختل استواءُ فكري ، فأصبحتُ إنساناً من النقائض المتعادية أجمعُ اليقينَ والشكَّ فيه ، والحبَّ والبغض له ، والأمل والخيبةَ منه ، والرغبةَ والعُزُوفَ عنها . وفي أقل من هذا يُختطَفُ العقل ، ويَتَدلَّه من يتدله

ثم ابتليتُ مع هذا اللَّمم بجنون الغيظ من ابتذالها لأصحابها وعفتها مني ، فكنتُ أتطاير قطعاً بين السماء والأرض ، وأجِدُ عليها وأتنكّرُ لها ، وهي في كل ذلك لا تزيدني على حالةٍ واحدة من الرهبانيّة ؛ فكان يطير بعقلي أن أرى جسمها ناراً مشتعلة ، ثم إذا أنا رُمتُه استحال ثلجاً . وقرّحت الغيرةُ قلبي وفتّتت كبدي من عابدةِ الشيطان مع الجميع ، الراهبةِ مع رجلٍ واحدٍ فقط . . . . !

ورجعتْ خواطري فيها مما يُعقَل ومالا يعقل ؛ فكنتُ أرى بعضها كأنه راجعٌ من سفرٍ طويل عن حبيب في آخر الدنيا ، وبعضها كأنه خارجٌ من دار حبيبٍ في جواري ، وبعضها كأنه ذاهبٌ بي الى المارستان . . . !

ورأيتنا كأننا في عالَمين لا صلة بينهما ونحن معاً قلباً الى قلب ، فذهبَ هذا بالبقية التي بقيت من عقلي ؛ ولم أرَ لي مَنجاةً إلا في قتلِ نفسي لأزهق هذا الوحشَ الذي فيها

وذهبتُ فابتعتُ شعيرات من السمّ الوَحِيّ الذي يُعجِلُ بالقتل ، وأخذتها في كفي وهممتُ أن أقمحها وأبتلعها ، فذكرت أمي ، فظهرتْ لخيالي مشدوخةَ الرأسِ في هيئة موتها ، والى جانبها هذه المرأة في هيئة جمالها ، وثبتتْ على عيني هذه الرؤيا ، وأدمنتُ النظر فيها طويلاً فاذا أنا رجلٌ آخرُ غيرُ الأوّل ، وإذا المرأةُ غيرُ تلك ، وطفتْ عِبرةُ الموت على شهوةِ الحياة فمحتها ، وصحَّ عندي من يومئذ أن لا علاج من هذا الحبّ إلا أن تُقرَن في النفس صورةُ امرأةٍ ميتة الى صورة المرأةِ الحيّة ، وكلما ذُكِرتْ هذه جيءَ لها بتلك ، فاذا استمر ذلك فان الميّتة تُميتها في النفس وتُميت الشهوةَ اليها ، ما من ذلك بُدٌّ ، فليجربه من شك فيه

(١) كانت العرب تزعم أنه إذا قتل اثنان جرى دماهما على طريق واحد ثم التقيا ، حكم عليهما أنهما كانا متحابين ، فان لم يلتقيا حكم عليهما أنهما كانا متشانئين . وما أجملها خرافة وأشعرها

وانفتح لى رأىٌ عجيب ، فجلستُ أتأمل كيف آمن شيطانى ثم كَفَر بَعدُ ، على أن شيطانها هى كَفَر فى الأول ثم آمن فى الآخر ؟ فوالله ما كنتُ إلا غبياً خامدَ الفطنة إذ لم يَسِخ لى الصواب حتى كدت أزهق نفسى وأخسر الدنيا والآخرة ؛ فان الشيطان — لعنه الله — إنما ردّنى عن الفاحشة وهى ذنب واحد ليرميني بعدها فى الذنوب كلها بالموت على الكفر !

وردَّ الىَّ هذا الخاطرُ ما عَزَبَ مَن عقلى ؛ ومَن ابتُلِىَ ببلاءٍ شديد زلزل يقينه ثم أبصر اليقين ، جاء منه شخص كأنما خُلِقَ لساعته ؛ فلعنتُ شيطانى واستعذتُ بالله من مكره ، وألقيت السمّ فى التراب وغيّبته فيه ، وقلتُ لنفسى : ويحك يا نفس ! إن الحياة تعمل عملاً بالحى ، أفترضين أن تعمل الحياةُ بأبطالها ورجالها ما عرفتِ وما علمتِ ، ثم يكون عملها بكِ أنت القعودَ ناحية والبكاءَ على امرأة ؟

أيتها النفس ، ماالفرق بين سرقة لحم من دكان قصاب ، وبين سرقة لحم امرأة من دار أبيها ، أو زوجها ، أو مولاها . . . ؟ أيتها النفس ، إن إيمانَ أسلافنا معنا ؛ إن الاسلام فى المسلم

* * *

قال المسيّب : وهنا طاش مجاهد واستخفه الطرب ، فصاح صيحةَ النصر : الله أكبر ! وجاوبه أهلُ المسجد فى صيحةٍ واحدة : الله أكبر ! ولم يكد يهتف بها الناس حتى ارتفعت صيحة المؤذّن لصلاة المغرب . الله أكبر . . .

« انتهى المجلس ، وبقيت لحديث المسيب بقية »

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

وبعد — أرجو ممن كتب الى بتوقيع (مسلم) أن يتخذ عنواناً أخاطبه به ولو اسماً مستعاراً فى شباك البريد لأكتب له كتاباً خاصاً ؟ الرافعى

مجموعات الرسالة

سجل للأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ قرشاً

ثمن مجموعة السنة الثانيـة (المجلد الأول والمجلد الثانى) ٧٠ قرشاً

كل ثمن مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

سبيل المدنيـــة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المـازنى

رآنى مرةً صاحبٌ لى آكل لحماً نيئاً ، فاستغرب ، وسألنى عنه كيف أجده ؟ قلت : أطيب ما يكون ، فأبى أن يصدّق ، وذهب يكابر ، وجعل يسأل : « كيف تستطيبه وهو نيء ؟ »

قلت : « يا أخى إن المسألة ليست مسألة منطق وجدل ، وإنما هى مسألة طعام ، فخذ منه وذق ، وانظر بعد ذلك كيف تجده ، ثم إنه لا شك أخف على المعدة وهى أقدر على هضمه من اللحم الذى أنضجته النار ، وأثقله ما يخلط به »

فهز رأسه منكراً ، وأبى أن يجرب . ومضت أيام ، فاشتهيت أن آكل كبداً نيئة ، فصارت الخادمة بعد ذلك تعلن الخوف منى ولا تخفيه ، وتغلق عليها الأبواب حين تنام ، كأنما خشيت أن آكلها حية ، ثم لم تطق صبراً فتركت البيت ، وتحدثت إلى الخدم بأنى « غول » فتعذر عليه أن يقنع غيرها بالعمل فى بيتى ، فجئت بواحدة من الريف

ويخيل إلىّ أن المدنية تضعفنا من حيث ترقينا ، وتشيع فى نفوسنا روح الأنوثة ، فنزداد عليها رقة وتطريا ، ولا نزداد قوة وقدرة على المقاومة . فنحن مثلاً نقاوم البرد بالثياب لا بأجسامنا وما فيها من المناعة الطبيعية التى تستفاد من التجرد ، ولا يستطيع الواحد منا أن يخطو عشر خطوات بقدم حافية ، وما أكثر ما تسمع الأم تحذر ابنها أن يمشى حافياً حتى فى البيت مخافة أن يصيبه أذى من الرطوبة أو نحوها . والخبز يوضع على المائدة فى طبق حتى لا يمس السفرة ، والأشواك والسكاكين والملاعق توضع مستندة إلى قطع من الزجاج أو المعدن ترفع أطرافها ، وهكذا فى كل شىء ، ولكن القطة مثلاً تمعد إلى كوم الزبالة فتنبشه وتأكل ما تجد فيه من فتات الخبز أو غيره ، والكلب يقضم العظام مخلوطة بالتراب فلا يصاب بسوء ولا تمروه حمى ، وينام تحت عين الشمس فلا تضربه ، وإذا جاء الشتاء لم يتخذ لحافاً ولا شبهه . وحدثنى طبيب يعمل فى الريف انهم قلما يعنون بتطهير أدوات الجراحة فى مستشفيات القرى